DOI: https://doi.org/10.37547/supsci-ojp-05-03-54 Pages: 479-485

Oriental Journal of Philology



ORIENTAL JOURNAL OF PHILOLOGY

journal homepage:
http://www.supportscience.uz/index.php/ojp/about



EMOTIONAL CATHARSIS AND PSYCHOLOGICAL PURIFICATION IN THE POEM "DESCRIPTION OF THE MOUNTAIN" BY IBN KHAFAAJAH AL- ANDALUSI

Muhammad Saadoun
Lecturer
Department of Theory and Practice of Arabic Translation
Uzbekistan State University of World Languages
Email: Saadounm035@gmail.com
Uzbekistan, Tashkent

ABOUT ARTICLE

Key words: Diwan, Ibn Khafaja Andalusia, Al-Maqqari, beautiful nature, poets description, arabic literature.

Received: 06.03.25
Accepted: 08.03.25
Published: 10.03.25

Abstract: Al-Andalus is distinguished by its enchanting and breathtaking natural beauty. Al-Andalus is Levantine in its pleasant climate and air, Yemeni in its moderation and balance, Indian in its fragrance and delicacy, Ahwazi in its great revenues, Chinese in its rich mineral resources, and Adeni in the benefits of its coasts. Poets have praised it, depicting it in the finest descriptions, considering it one of the most flourishing lands. Al-Andalus belongs to the Levantine region, which is one of the best and most moderate regions. Its air and soil are the purest, its water the sweetest, its air, animals, and plants the most pleasant. It is the central region, and the best things are always in the middle.

IBN XAFAJA AL-ANADALUSIYNING "TOG' TASVIRI" SHE'RIDA HISSIY YUKSALISH VA RUHIY POKLANISH

Muhammad Sadun
O'qituvchi
Arab tili tarjimasi nazariyasi va amaliyoti kafedrasi
O'zbekiston davlat jahon tillari universiteti
Email: Saadounm035@gmail.com
O'zbekiston, Toshkent

MAQOLA HAQIDA

Kalit so'zlar: devon, Ibn Xafaja, Andalusiya, Al-Maqqarīy, go'zal tabiat,

Annotatsiya: Andalusiya o'zining maftunkor tabiati bilan ajralib turadi.

shoirlar, tavsif, Arab adabiyoti.	Andalusiya Shom iqlimi kabi yoqimli havoga ega, Yamandek mo‘tadil va tekis, Hindiston kabi xushbo‘y va nafis, Ahvozdik soliqlari ko‘p, Xitoydek boy metall konlariga ega va Adandek qirg‘oq boyliklari bilan mashhur. Shoirlar Andalusni madh etib, uni eng go‘zal yurt sifatida tasvirlashgan. Andalusiya Shom iqlimiga mansub bo‘lib, u eng yaxshi va mo‘tadil iqlimlardan biri, havosi ham, tuprog‘i ham eng sof, suvi eng shirali, havosi, hayvonoti va o‘simliklari eng yoqimli. U iqlimlar ichida eng o‘rtacha va barkamoli – eng yaxshi narsa doimo mo‘tadillikdir.

ЭМОЦИОНАЛЬНОЕ ВОЗВЫШЕНИЕ И ДУХОВНОЕ ОЧИЩЕНИЕ В ПОЭМЕ «ОБРАЗ ГОРЫ» ИБН ХАФАДЖА АЛЬ-АНАДАЛУСИ

Мухаммад Садун
Преподаватель
Кафедра теории и практики арабского перевода
Узбекский государственный университет мировых языков
Email: Saadounm035@gmail.com
Узбекистан, Ташкент

О СТАТЬЕ

Ключевые слова: диван, Ибн Хафаджа, Андалусия, Аль-Маккари, живописная природа, поэты описание, арабская литература.	**Аннотация:** Андалусия славится своей очаровательной и живописной природой. Андалусия подобна Шаму своим приятным климатом и воздухом, Йемену – своей умеренностью и ровностью, Индии – ароматами и утончённостью, Ахвазу – размерами налоговых сборов, Китаю – богатством рудных месторождений, Адену – пользой своих прибрежных земель. Поэты воспевали её в своих произведениях, описывая как одну из самых прекрасных стран. Андалусия относится к Шамскому региону, который является одним из лучших и самых умеренных, его воздух и почва чисты, его вода сладка, его воздух, животный и растительный мир наиболее приятны. Это срединный регион, а всё лучшее находится в середине.

المقدمة. تتميز الأندلس بطبيعتها الخلابة الساحرة، فهي كما قال المقري (الأندلس شامية في طيبها وهوائها، يمانية في اعتدالها واستوائها، هندية في عطرها وذكائها، أهوازية في عظم جباياتها، صينية في جواهر معادنها، عدنية في منافع سواحلها...) (Al-Maqqari, p. 126)

وقد تغنى بها الشعراء ووصفوها بأحسن الأوصاف، وهي أنضر البلدان، وقد وصفها أبو عامر السالمي بقوله: (الأندلس من الإقليم الشامي، وهو خير الأقاليم، وأعدلها هواء وترابا، وأعذبها ماء، وأطيبها هواء وحيوانا ونباتا، وهو أوسط الأقاليم، وخير الأمور أوسطها(Al-Maqqari, p. 126) **مناهج البحث**.تُعَدُّ هذه المقالةُ إحدى المواضيع المهمة في الأدب العربي، نظرًا لأهميتها البالغة. ولذلك، ومن أجل تسليط الضوء على هذا الموضوع بشكل مفصل، تم الرجوع إلى الأعمال الأدبية لعدد من الشعراء من العصور السابقة والوسطى، وذلك من خلال مناهج التحليل المقارن التاريخي والمقارن النوعي بطريقة شاملة. بالإضافة إلى ذلك، لم يتم إغفال آراء العلماء المعاصرين في هذا المجال.

النتائج.وقد عاش إبراهيم بن أبي الفتح الخفاجي 450-533ه، في منطقة شقر وفي بيئتها الخلابة حياة مترفة كريمة، ينعم فيها بالمكانة العلية بين الملوك والأمراء والعلماء، وهو من أشهر شعراء الأندلس، وكان شاعر الطبيعة المرح الذي افتتن بها فوصفها وصفا بارعا وكانت نظرته متفائلة في الحياة، إلا أن الشاعر الفنان يظل ينتابه القلق والاضطراب نظرا لرقة وجدانه واختلاف تصوره وطبعه المرهف عن غيره.

وصف ابن خفاجة الجبل في آخر عمره وصفا مميزا في قصيدة بلغ عدد أبياتها سبعة وعشرين بيتا عالج فيها فكرة الموت والحياة (أوروس تانيتوس)، وهي الهاجس الأكبر الذي كان يراود الشعراء والفنانين منذ أقدم العصور، وقد كاد هذا الهاجس أن يودي بالشاعر ويقضي عليه، وقد وصف هذا الصراع المحتدم في نفسه وصفا فنيا رفيع المستوى، والقصيدة من بحر الطويل الذي يلائم النفس الممتد والتنهدات النفسية الطويلة.

كتب القصيدة بأسلوب امتزجت فيه الشاعرية بالأفكار الفلسفية (الأسلوب هو السطر من التخيل، وكل طريق، والأسلوب هو الطريقة والمذهب والجمع أساليب) (Ibn Manzur, p.225)

المحاكمة: وتتجلى في النص المسحة الدرامية الحزينة، ولعل الشاعر في كثير من الأحيان لما يكتب في هذا المضمار فإنه يسعى للتنفيس عن نفسه وعن وجدانه المثقل، وحتى عن عقله، كما يقول علماء النفس، فالشاعر يكتب ليطهر وجدان المتلقي بمفهوم أرسطو Catharsis، من خلال سرد الحزن والمعاناة، وقد سئل صلاح عبد الصبور: لماذا تكتب الشعر؟ فأجاب: إنه سؤال محير، أما على المستوى الشخصي فأنا أكتب الشعر لكي أتطهر، فالتطهير ليس حكرا على المتلقي، ولكنه للفنان أيضا، وهو في هذا الجواب متأثر بنظرية التطهير النفسي لأرسطو(Bashir Taouririt, 2006, p. 146)

وفي قصيدة وصف الجبل تتمظهر نظرية التطهير Catharsis في عدة تجليات شعرية، إذ نجد ابن خفاجة بعد أن ملئ قلبه حزنا ومعاناة ينفس عن نفسه المثقلة بالهموم، ويتخذ لذلك وسيلة فنية تتمثل في المعادل الموضوعي، حيث شخص الجبل، فهو يفضي ملتاعا حزينا بما يعاني ويكابد من حدثان الزمن وما تلك المكابدة والمعاناة إلا تعبير عما يجد الشاعر ويلاقي في هذه الحياة من رزايا ومحن.

وهو لما وصف الجبل جعله عظيما منيفا طامح الذؤابة يطاول أعنان السماء في بذخ وشموخ، يزحم بمناكبه الشهب ليلا فيسد مهب الريح ولا يترك لها مجالا للهبوب، يقول ابن خفاجة:

وأرعن طماح الذؤابة باذخ *** يطاول أعنان السماء بغارب (Ibn Khafaja, 2013,p.48)

وهذه المبالغة في الوصف يرمي من ورائها إلى المصائب والنكبات التي لا تحتمل ولا تطاق، وهو بهذا الوجدان المفعم بالضيق والمكابدة وبهذه الإفضاءات والتنهدات الحرى إنما يسعى إلى التنفيس عن نفسه، إنه وقور ثابت على ظهر الفلاة يفكر في عواقب الأيام طوال الليل، يقول:

وقور على ظهر الفلاة كأنه *** طوال الليل مفكر بالعواقب(Ibn Khafaja, 2013,p.48)

وهذه الصورة الشعرية الانزياحية الجزئية في الوصف تجسد المعاناة الكبرى، لأن الصورة الشعرية ينبغي ألا تنفصل عن التفكير الكلي الشامل (Izzuddin Ismail, 1972, p.16)

وتشترك الصور الكلية والجزئية في النص فيما يشبه التداعي الحر في التحليل النفسي عند فرويد Freud والمحللين النفسيين.

وقد كثف الشاعر قاموسه اللفظي بالكلمات التي ترمز إلى نفسه المكلومة ومشاعره المكبوتة، ولا شك أن هذا التكثيف للألفاظ الرامزة ينشأ عنه فعل لتنقية النفس وتطهير الوجدان وينجم عن ذلك أيضا شعور بالأريحية والتخفيف من وطأة ما يحوك في صدره من حزن وألم، وقد قال لويس أراغون Louis Aragan: (من الألم تولد الأغنية).

وهذا المجاز أو الانزياح في استخدام الألفاظ التي تحمل معاني الحزن والأسى تشعر القائل بنوع من المتعة، غير أن الشعرية الناجمة عن الانزياح ينبغي أن تتسم بالجمالية (والشعرية التي تهمل القيمة الجمالية تبرهن -كما سبق أن ألمحنا- حسب تودوروف على عدم جدواها، وإن لغتها الواصفة تقضي إلى تسطيح الشعر (Hassan Nazem, 2003, p. 164-163)

لذلك فإن الإفضاء الحقيقي الذي ينتج عنه انشراح النفس يكمن في تلك المسحة الجمالية التي تكثف الإبداع، ومن ثمة يحدث التنفيس، والتسرية عن النفس التي أثقلت بالحزن والمعاناة، ومن بين الملامح الجمالية التي تخللت معاني الحزن قوله في البيت الرابع:

يَلوثُ عَلَيهِ الغَيمُ سودَ عَمائِمٍ *** لَها مِن وَميضِ البَرقِ حُمرُ ذَوائِبِ

فهذه الصورة الحسية الجمالية كسرت سورة الحزن الممض، ولطفت من حدة وغلواء المشاعر المضطرمة داخل النفس، فالشاعر بوصفه الحسي للمادة يستطيع أن ينفذ إلى أعماق النفس (فإنك تجد أن بودلير كان يستغرق ويذهل في قلب المادة، وأنه كان ينفذ منها إلى أبعاد لا تتيسر للإنسان العادي الأليف المهرول إثر الرزق اليومي والواقع في قبضة الأعراف والواقع المدجن على مفاهيمه وانفعالاته) (Iliya Hawi, 1980, p. 36)

فابن خفاجة من خلال خطابه للجبل أو استنطاقه له استطاع أن يجسد مشاعره المستكنة في داخله، وهذا الغوص في سراديب النفس لا يتأتى للإنسان العادي، إنما للفنان الذي يبتكر الوسيلة الفنية واللغة الرمزية التي تلامس جدار النفس.

يستنطق الشاعر الجبل وهو أخرس صامت ليحدثه عما مر به من أحداث، ومخاطبة الطبيعة الصامتة شكل من أشكال المونولوج Monologue أو الحوار الداخلي الذي يترجم فيه الشاعر رؤاه وفلسفته ومواجيده، وهو أيضا محاولة لبعث الأمل في النفس المقهورة، يقول ابن خفاجة:

أَصَختُ إِلَيهِ وَهوَ أَخرَسُ صامِتٌ *** فَحَدَّثَني لَيلُ السُرى بِالعَجائِبِ (Ibn Khafaja, 2013, p. 48)

فالإصاخة وهي الاستماع بقوة واهتمام إلى الجبل وهو يسرد ما مر به من أحداث وعجائب، مما يوحي بأن الشاعر ذاته يريد أن يعرف مأساة الجبل التي ربما تشبه مأساته، وحينئذ يتعزى ويتأسى بحديثه، وقد استجاب الجبل الصامت للشاعر فأخبره بأنه كم آوى من قاتل لجأ إليه فأمنه من الموت والانتقام، وكم من مذنب وجد موطنا ينقطع فيه من اجل التوبة والغفران، ويحكي الجبل الكثير من الأحداث للشاعر، وهذا السرد المتواتر للأحداث يعزي الشاعر وينفس عنه وينسيه ذكريات الماضي الأليمة، وقد تركت تلك الأحداث التي كان يرويها الجبل آثارا لا تنسى، وهي أحداث تجسد آلام الشاعر، لكنه لم يصرح بها بشكل مباشر، وربما كان هذا النوع من الإفضاء أجدى من الإفضاء المباشر، فهو يجعل الجبل رغم عظمته يشكو أحداث الزمن، ويروي قصته المأساوية ومن ثمة فإن مأساة الشاعر تصبح ضئيلة أمام معاناة الجبل.

وهذه طريقة أخرى لإذابة الألم الرابض على صدره وإجلاء الحزن الذي يستولي عليه.

لقد تجنب الشاعر الشكوى المباشرة لأن المعنى المباشر قد لا يجدي كثيرا في تبديد المعاناة (حيث يستقر المعنى يكون المقياس قليل النفع) (Tzvetan Todorov,1990, p. 21)

لذلك فإن الشاعر كان لا يريد أن يبوح بأحزانه بشكل مباشر وكأنه ينفس عن نفسه ووجدانه ولكنه يصرف الأنظار عنه، فأحاديث الجبل هي بشكل آخر رثاء وبكاء على النفس، واللجوء إلى هذه الطريقة يعبر عن صيحة أليمة من داخله، القصد منها تفجير العواطف المؤلمة التي تكورت في نفسه ولم يطق أن يظهرها للعلن، لذلك وجد وسيلة أخرى وهي تشخيص الجبل، ومن

ثم فهو يشكل النص في فضائه لا في خطيته وحرفيته (ولكن القول بأن كل شيء تأويل لا يعني أن كل التأويل متساوية، فالقراءة مسار في فضاء النص مسار لا ينحصر في وصل الأحرف بعضها ببعض من اليسار إلى اليمين... وإنما هو يفصل المتلاحم ويجمع المتباعد وهو على وجه التدقيق يشكل النص في فضائه لا في خطيته) (Tzvetan Todorov, 1990, p. 22)

إن معاناة الشاعر تتجلى في الفضاء العام للقصيدة، ومن شأن القارئ أن يؤول ويفسر مرامي الشاعر ومقاصده من خلال الخطابات المتعددة غير المباشرة في النص، وبذلك فإن قصيدة ابن خفاجة تندرج ضمن هذا الاحتمال وهذه الإمكانية، فنظريات القراءة تمكننا من دراسة القصيدة وتأويلها إلى أكثر من قراءة واحدة (كما أنه لا يوجد تفسير واحد لأي نص وسيظل النص يقبل تفسيرات مختلفة ومتعددة بعدد مرات قراءاته)(Abdullah Muhammad Al-Ghadami, 2006, p. 85)

فالجبل على لسان الشاعر لما يعدد ما مر به من أحداث، إنما هو الشاعر نفسه يخرج ما ألم بصدره من صور الماضي ونكبات الأيام الخوالي وكأنه يفرغ من وجدانه من خلال تلك الزفرات معناة ثقيلة تجثم على صدره، فمعاني القصيدة تشكل وقفات شعورية حزينة يريد الشاعر أن يتخلص منها، ومن هنا تسنى لعلماء النفس الأدبي أن يفسروا الأدب، فالشاعر في تصورهم مريض يحتاج إلى تطهير نفسي من تلك الأحاسيس السلبية التي تسببت له في الحزن والتعاسة، إلا أن المبالغة في هذا الاتجاه تبعد عن الحقيقة في كثير من الأحيان، لأن هذا الإفضاء لا يعني بالضرورة أن الشاعر أو المبدع مريض يحتاج إلى تداعي الأفكار، لكن طبيعة الشاعر تستدعي هذه الصور الفنية التي تعروها مسحة من الحزن بعيدا عن كل مرض نفسي، ومع ذلك فإن الشاعر لهذا الوصف يخفف عما يتمخض في صدره من أحاسيس ووجدانات سلبية تثقل نفسه ووجدانه.

وينبغي للقارئ الحقيقي أن يتجاوز الوزن الخليلي وهو هنا بحر الطويل بتفعيلاته الممتدة التي تلائم المعنى إلى تأويلات أخرى، فالكشف عن نفسية الشاعر المخزونة لا يكون انطلاقا من الإيقاع العروضي (إنه ليس مجرد الوزن بالمعنى الخليلي أو غيره من الأوزان، الإيقاع بالمعنى العميق لغة ثانية لا تفهمها الأذن وحدها وإنما يفهمها قبل الأذن والحواس الوعي الحاضر والغائب) (Khalida Said, 1979, p. 11)

ويستمر الجبل في الشكوى من الرياح الهوجاء ومن البحار المتلاطمة التي تزاحمه، يقول:

ولاطم من نكب الرياح معاطفي *** وزاحم من خضر البحار غواربي

(Ibn Khafaja, 2013, p. 48)

وهذه الشكوى هي صيحات للوجع من أعماق الشاعر، وهو بذلك يفسح لمعاناته الداخلية أن تخرج عبر تلك التنهدات والصيحات الأليمة، وتظل مأساة الشاعر تنفجر بلا انقطاع، وهو يتقمص الجبل الذي يبوح بما في مكنونه، فما خفق الأيك إلا رجفة أضلعه المتألمة وما نوح الحمائم إلا صرخة نادب متوجع، وليس السلوان هو الذي جفف دموعه النازفة وإنما جفافها كان من تلقاء فراق الأحبة والصواحب، ويظل الحزن يثقب صدر الشاعر ويلاحق حياته حيث يظعن الأحبة في كل مرة عنه ويفارقونه تاركين له لذعة التياع الفراق ولذعة الكآبة والمعاناة.

فهذه الصور الشعرية المكثفة بالمعنى تجعل المتلقي يرسم مشهدا حقيقيا ماثلا أمامه (تمتاز الصورة الشعرية الناجحة عن غيرها بكونها تعطي للقارئ انطباعا قويا كأنه لا يقرأ قصيدة وإنما يشاهد لوحة لها) (Muhammad Masayef, 1984, p. 332) ، وفي البيتين الأخيرين من القصيدة، يقول:

فرحماك يا مولاي دعوة ضارع *** يمد إلى نعماك راحة راغب

وقلت وقد نكبت لطية *** سلام فإنا من مقيم وذاهب

وفي هذا المنعطف الأخير من النص يعود الشاعر إلى نفسه ويخرج من التقمص والحلول في الجبل رافعا عقيرته بالدعاء والابتهال إلى الله أن يرحمه ويخفف عنه، ويودع الجبل تاركا أثره أيضا في الجبل الذي تقمصه ويلازم الحزن الشاعر في كل حين، ولكن كلمة "سلام" رمز للأمل في السلام، مهما تفاقمت المصائب والنكبات، (نهاية الصراع بين الخير والشر تكون لصالح قوى الخير والمحبة والسلام) (Othman Hashlaf (1986, p. 107)

الخلاصة:

والخلاصة هو أن الشاعر في هذه القصيدة يجسد الألم ويرسم صورة لنفسه التي تقف تحت وطأة الأيام وترسف في أغلال الشدائد والمحن، وهو بهذا الوصف يحاول التملص والتخلص مما يعانيه ويكابده وهو ما يسمى عند أرسطو بالتطهير أو كما أطلق عليه علماء النفس التنفيس الوجداني.

وينبغي الإشارة في النهاية إلى أن المتلقي أيضا تخفف عنه المعاناة لما يقرأ النص ويتماهى مع صوره ومعانيه (ويحتاج كل من المبدع والمتلقي إلى معاناة وربما تكون معاناة القارئ أكثر على الرغم من أنه لا يظهر)

Foydalanilgan adabiyotlar ro`yxati:

1. Ibn Khafaja. (2013). Diwan. ad-Dīwān, - Beirut, Dar Al-Qalam for Printing and Publishing, Beirut. 48 p. (in Arabic)
2. Al-Maqqari. The Scent of Goodness. Nafh Al-Tib, edited by Ihsan Abbas. - Beirut, Dar Sader for Printing and Publishing, Vol. 1. (in Arabic)
3. Ibn Manzur. Lisan Al-Arab. Lisan Al-Arab - Beirut, Dar Sader, 1 st Edition, Entry (Salb). 225 p. (in Arabic)
4. Bashir Taouririt. (2006). Rihiq Al-Shi'riyya. Raḥīq aš-šiʿriyya. - Algeria, Mazwar Printing, 1 st Edition. (in Arabic). 146 p.
5. Izzuddin Ismail. (1972). Contemporary Arabic Poetry: Its Issues and Artistic/Thematic Phenomena. aš-Shiʿr al-ʿArabī al-muʿāṣir qaḍāyāhu wa-ẓawāhiruhu al-fanniyya wa-l-maʿnawiyya - Beirut, Dar Al-Awda, 2 nd Edition. 161 p. (in Arabic)
6. Hassan Nazem. (2003). Concepts of Poetics – A Comparative Study in Origins and Methodology. Dirāsa muqārana fī al-uṣūl wa-l-manhaj. – Beirut, Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut, 3rd Edition. (in Arabic) 164 p.
7. Iliya Hawi. (1980). Symbolism and Surrealism in Western and Arabic Poetry. ar-Ramziyya wa-s-Suryāliyya fī aš-šiʿr al-gharbī wa-l-ʿArabī, - Beirut. Dar Al-Thaqafa. (in Arabic)
8. Todorov, Tzvetan. (1990). Poetics. Translated by Shukri Al-Mabkhout and Raja Ben Salamah. aš-Šiʿriyya, tar. Šukrī al-Mabkhūt wa-Rajāʾ bin Salāma. - Morocco. Dar Toubkal for Publishing, (in Arabic)
9. Abdullah Muhammad Al-Ghadami. (2006). Sin and Atonement: From Structuralism to Deconstruction. al-Khaṭīʾa wa-t-Takfīr min al-bunyawiyya ilā at-tašrīḥiyya. – Egypt. Egyptian General Book Organization, 1st Edition. 85 p. (in Arabic)
10. Khalida Said. (1979). The Dynamics of Creativity in Modern Arabic Literature. Ḥarakiyyat al-ibdāʿ fī al-adab al-ʿArabī al-ḥadīṯ - Beirut, 1st Edition. (in Arabic)
11. Muhammad Masayef. (1984). Modern Literary Criticism in the Maghreb. an-Naqd al-adabī al-ḥadīṯ fī al-Maġrib al-ʿArabī. – Algeria. National Foundation for the Book, 2 nd Edition. 332 p. (in Arabic)

12. Othman Hashlaf. (1986). Heritage and Renewal in Al-Sayyab's Poetry. at-Turāṯ wa-t-Tajdīd fī šiʿr as-Sayyāb. – Algeria. University Publications Office. 107 p. (in Arabic)

13. Muhammad Jahmi. (2004). The Literary Text: Its Signs and Semiotics. an-Naṣṣ al-adabī simāhu wa-sīmiyāʾuhu. // Journal of Semiotics and Literary Text, Faculty of Arts, Humanities, and Social Sciences, University of Mohamed Khider, Biskra, Algeria, Issue 3, April. P.338. (in Arabic).